الكتاب الحادي والعشرون

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

تأليف الأستاذ: محمود محمد شاكر

تحليل وعرض أ.د. السيد أحمد فرج

أولا: التعريف بالمؤلف:

ولد محمود محمد شاكر بمدينة الإسكندرية في العاشر من المحرم سنة ١٣٢٧هـ - أول فبراير سنة ١٩٠٩م، وكان والده الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ينتمي إلى قرية أبى علياء من محافظة جرجا (سوهاج) وكان يوم رزق بمحمود شيخًا لعلماء الإسكندرية، وفي العام نفسه الذي ولدفيه محمود انتقل الشيخ محمد شاكر إلى القاهرة وكيلًا لمشيخة الأزهر الشريف.

نشأ محمود محمد شاكر في بيئة أزهرية إذ تلقى أبوه ثم أبناؤه من بعده تعليمًا أزهريًا، ولكن محمود خالف ما اعتادته الأسرة وألفته فاختار التعليم المدني، وكان هذا الاختيار أول مخالفاته التي ستتكرر في سيرة حياته، تلقى أول مراحل تعليمه بمدرسة الوالدة (أم عباس) وفي سنة ١٩١٦م انتقل إلى مدرسة القِرَبية بدرب الجماميز، وكانت هذه المدرسة تهتم بتعليم اللغة الإنجليزية فحفظ دروسها، ومهر فيها، فكان مجيدًا لها منذ صغره، مما أتاح له قراءة الكتب والمجلات بالإنجليزية خاصة التي تهتم بمباحث اللغة العربية وآدابها، وبالدراسات الإسلامية.

كانت ثورة ١٩١٩م -وكان في العاشرة من عمره - أول محرك لوعيه، إذ كانت دار الشيخ محمد شاكر تموج بثوار سمع منهم ورأى، وأعانته فطرته بضرب من التميز فعقل بعضه الذي رجّ نفسه رجًا لم يبح بكنهه، وبفطرة الصبي وافق بعضه ورفض بعضه، ورضى وسخط، وكان ذلك الإحساس بداية انطلاقه في مجتمع يفور

بالمتناقضات والصراع في ميادين: الدين والعلم والأدب والفن، والسياسة، فخاض محنة زمانه في أول نشأته بنفسٍ غصة مجرحة بالتجارب، بل خاض تجربة رفض واغتراب[١].

وفي سنة ١٩٢١م التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بحي السيد زينب - ومع أنه كان محبا للغة والأدب، فقد دخل قسم الرياضيات الذي كان في ذلك الزمان لا يبيح للطالب الالتحاق بكلية الآداب فمثَّل ذلك المخالفة الثانية في سيرته التي تميزت بالمخالفات.

ولما أراد الالتحاق بكلية الآداب رفضت الجامعة لأن تخصصه في الثانوية في الرياضيات لم يكن يؤهله لدخول كلية الآداب - آنذاك - فكان طه حسين هو المنقذ، فقد كان على صلة طيبة بأسرته، وكان يعرف عن طريق والده أن محمودًا - وهو طالب بالثانوي - أنجز قراءة معجم لسان العرب قراءة متأنية، وقرأ كتاب الأغاني للأصفهاني عدة مرات، وحفظ ديوان المتنبي، كما قرأ كتب الفقه وأصوله، وكتب الحديث والتفسير والتاريخ، وأنبأ طه حسين بذلك أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة آنذاك، فاستثناه وألحقه بكلية الآداب - قسم اللغة العربية كما أراد وأحب - ولم يبح محمود شاكر بسر هذا التحول إلا في سنة ١٩٦٥ م فقال: «إن الذي دفعه لهذا التحول اكتشافه لأهمية الكلمة في تاريخ أمتنا العربية قديمًا، وأنه لابد أن يكون لها الدور الأكبر في حاضرها ومستقبلها» هكذا قال.

لكن الأمر لم يستقم له في الجامعة، ففي الفرقة الثانية من الدراسة الجامعية اختلف مع طه حسين أستاذه الذي كان يدرس له قضية «نحل الشعر الجاهلي» وكان طه حسين يكرر كلام المستشرق مرجليوث، فواجه طه حسين بهذه الحقيقة واختلفا وترك الجامعة، فقد زعزعت هذه الحادثة ثقته بالدراسة الجامعية فهجرها

(١) ارجع إلى مجلة الدوحة القطرية العدد ٦٠ في ديسمبر ١٩٨٠، ص ٣٠.

بدون عودة.

ومع أن المستشرق الإيطالي (جويدو نالينو Guido Nallino) اصطحب طه حسين إلى منزل الشيخ محمد شاكر ليحملا محمود على العودة إلى دراسته الجامعية، إلا أن أحدًا لم يثنه عن عزمه.

كان هجره للدراسة مخالفة وصدمة شديدة، لكنها صقلته، وزادت من صلابته وعناده، فهاجر إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٩٢٨م وكان في التاسعة عشرة من عمره، واستقر في جدة، وطلب منه الملك عبد العزيز أن يؤسس مدرسة ابتدائية ففعل، وعمل مديرًا لها لمدة سنة واحدة، ثم استدعاه والده الشيخ محمد شاكر فعاد إلى القاهرة في سنة ١٩٢٩م فدلت هذه الواقعة والوقائع التي سبقتها على أنه شخصية قلقة عنيدة، من نسيج وحده، تميل إلى التفرد في السلوك والتفكير، كل ذلك في رجل واحد.

كان محمود شاكر كثير القراءة، قليل الكتابة، وكانت تمر عليه السنون دون أن يخط حرفًا واحدًا، قال في ذلك: «ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه، ولكن هكذا قدر لي أن أفعل، فنحيته عن أناملي لكي أفرغ للقراءة والتفكير، حتى تصرم على ذلك أكثر من ثلاث عشرة سنة»[(١)] وقبل هذا التاريخ قال: «دارت بي الأيام وفارقت مصر سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م ثم عدت إليها وقد فتر ما بيني وبين الكتب زمنًا طال وامتد»[(٢)].

بعد عودته من جدة تفرغ لقراءة دواوين الشعر العربي قراءة متأنية، وحفظ أشهر ما فيها، حتى صارت درايته بالشعر العربي دربة وملكة وموهبة - كونت مذهبه في «التذوق الشامل الكامل» هو نفسه يتحدث عن هذه الفترة التي أعقبت

(١) مجلة الرسالة العدد ١٠٨٩، نوفمبر سنة ١٩٦٤، ص٦.

(٢) مقدمة تحقيق: طبقات فحول الشعراء، السفر الأول ص ١٠.

هجره للدراسة الجامعية من ١٩٢٦م إلى ١٩٣٦م عشر سنوات كاملة، فيقول كانت خلاصًا من «حياة أدبية بدأت أحس إحساسًا مبهمًا أنها حياة فاسدة، فلم أجد لنفسي خلاصًا إلا أن أرفض متخوفًا شيئًا فشيئًا أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية[١].

وهكذا تتابعت حلقات سلسلة رفضه ومخالفاته، قال في حوار: «إنه اعتزل الكتابة من سنة ١٩٥٢م إلى سنة ١٩٦٤م، وكان قبلها اعتزل المجتمع، فقال عن عزلته: «عشت أكثر من أربعين سنة وأنا أجاهد هذه الحياة التي أحاطت بي منذ ولدت وأبيت أن أقبلها على علاتها، لأني منذ بدأت أعقل ما أنا فيه، رأيتني أنشأ في قطيع يساق إلى المجزرة، وهو فرح بها نشوان، رأيته مجتمعًا يتمزق، وهو ينشق عن كل تاريخه الماضي»[٢]، فهو ههنا رافض للواقع السياسي، كما هو رافض للواقع العلمي والأدبي والاجتماعي.

لكن محمود شاكر الذي صدمته تيارات الفكر والسياسة والعلم والأدب في عصره، لم يستكن لها، ولكنه أخضع نفسه لمراجعة شاقة لكل ما كان آمن به، أو لم يؤمن، وأخذ ينقب في إرث العرب العظيم، لا ليقلده، ولكن ليعرفه المعرفة الكاملة، فكان يقرأ الكتاب على أنه إبانة عن خبايا كاتبه – قال في ذلك: «وشيئًا فشيئًا انفتح لي الباب على مصراعيه فرأيت عجبا، وعثرت على فيض غزير من مساجلات صامتة خفية كالهمس، ومساجلات ناطقة جهيرة الصوت، غير أنها جميعها إبانة صادقة عن الأنفس والعقول»

بدأت شهرة محمود شاكر بكتابه عن المتنبي، الذي تدخل القدر في تأليفه، فقد كان العالم العربي بصدد الاحتفال بألفية المتنبي، فطلب منه فؤاد صروف صاحب

(١)رسالة في الطريق إلى ثقافتنا – الخانجي ص ٦.

(٢) مجلة الدوحة القطرية، العدد ٦٠ في ديسمبر سنة ١٩٨٠، ص ٣٠.

جريدة المقتطف أن يكتب مقالًا مسهبًا عن المتنبي، فلما انصرف إلى الكتابة، وجد أن المسألة أكبر من مقال تكتب لصحيفة أو مجلة، وكان ثمار جهده كتابه المتنبي في جزءين، نشرته مجلة المقتطف، فملأ العدد كله الصادر في السادس من شوال سنة ١٣٥٤هـ الأول من يناير ١٩٣٦م اكتشف فيه المتنبي من جديد، فقد توصل من خلال شعره إلى نتائج في حياة المتنبي وعقله وتفكيره، لم يُتوصل إليها من قبله، وسمى مذهبه في هذه الدراسة «مذهب التذوق الشامل الكامل».

محمود شاكر ومذهب التذوق الشامل الكامل:

بيّن محمود شاكر طريقته في التحقيق، حتى لا يقدم على شرحها غيره فيضل، فلخصها على الوجه التالي:

١- يعلن رفضه لعمل السابقين - خاصة إذا كانوا من المستشرقين، لأنهم لا يقدرون على فهم مرامي الكلمة العربية.

٢- يقرأ النص قراءة متأنية ويعايشه كأنه منشؤه، ثم يبذل جهده في معرفته وتذوقه وشرحه.

٣- لا يذكر من المراجع إلا ما لا غنى عنه، ويكره أن يحشد عند كل مكان مراجع لا يقتنع بها القارئ أو لا ينتفع بها.

٤- أن يشرح المفردات التي تخفى على القارئ، لا يهمه إن كان يخالف السابقين أو اللاحقين أو يوافقهم.

٥- يحرص على إلحاق - في آخر الكتاب - معجم خاص من الكلمات غير المثبتة في المعاجم.

٦- كان لا يكتفي بقراءة النص في المخطوطة، ولكن يتابعه في كل كتب اللغة والأدب، فإن كان ثمة قصور عالجه وبيّن ذلك بقوله: «وزدت من الأخبار على

أصل كتاب الطبقات سبعة وعشرين خبرًا، وتسعة أخبار على المخطوطة فهي جميعا ستة وثلاثون خبرا، وأرجو أن أكون قد أصبت الحق».

٧- وكان يعيد قراءة الكتاب بعد نشره، فإذا كان ثمة قصور عالجه وأعاد طبعه قال في ذلك: «طبعت كتاب: طبقات فحول الشعراء، وكنت أتوهم يومئذ أن الذي نقلته مطابق كل المطابقة لما في المخطوطة التي غاب عنى أصلها، فلما جاءت مصورة المخطوطة، وقابلتها بما طبعته في سنة ١٩٥٢م تبين لي أن نفسي غرتني غرورًا كبيرًا، وأنى وقعت عند نسخها في أخطاء قبيحة لغرارتي يومئذ وجهلي، وقد صححت هذه الأخطاء التي وقعت في نسخي القديم، بما بذلته في مراجعة الكتاب على دواوين الشعر والأدب.

خلافات محمود شاكر مع معاصريه:

كانت خلافات محمود شاكر مع معاصريه يدفعها أمران: أحدهما: أخلاقي كخلافه مع طه حسين، والثاني: عقدي كخلافه مع لويس عوض.

- **اختلف مع طه حسين أو خالفه في مسألتين**:

الأولى: قضية الشعر الجاهلي، والثانية: كتاب المتنبي، وفي القضيتين رأى محمود شاكر أن طه حسين مطبوع على السطو على أعمال غيره، قال محمود شاكر: «طغى طه حسين على متن مرجليوث، ولم يذكر طه حسين ولو لمرة واحدة مرجليوث، والقضية ههنا - قضية السطو على أقوال الناس وآرائهم، ثم ادعاء تملكها، ثم الاستعلاء بهذا الملك المغصوب، والاستطالة به على الناس، وكأن ظهور سطوه فضيلة ترفع من قدره وتنوه به في المجامع، أما أنا فلم أزل أعد هذا المسلك احتقارًا للناس، وازدراء لعقولهم وإنزالهم منزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يحس»[(١)].

(١) حديث معه أجرته عايدة الشريف بمجلة الدوحة، العدد ٦٠ في ديسمبر سنة ١٩٨٠، ص ٣١.

أما المسألة الثانية ففي كتابه «المتنبي» وقد اتهم محمود شاكر طه حسين بسرقة كتاب المتنبي، وجعل من مادته متنًا لشرحه في كتاب (طه حسين = مع المتنبي) مع أن طه حسين حاول أن يضاد بعض ما جاء في كتاب المتنبي لمحمود شاكر في مسائل مثل: نسب المتنبي - والبيئات التي ارتحل إليها وتنقل فيها، وأثرت فيه، كما أن طه حسين حاول أن يلبس دراسته ثوب المدارس النقدية التي درسها في فرنسا عند «تين» و«سان بيف» وهى مناهج تهتم بالأجناس والتاريخ والبيئة الاجتماعية وتأثير كل ذلك في شعر الشاعر، لكي تبدو مباينة لدراسة محمود شاكر، ولكن ذلك إن خفى على الأغرار لا يخفى على الذين يستنطقون النص، فيعرفون بواطنه وظواهره، مثل محمود شاكر الذي فيه، كما في المتنبي: من قوة النفس، وحدة الطبع، ورهافة الحس، وسرعة التأثير، وتجليات تتنقل بها عاطفته كلها في ساعات من ساعات حياته، فلا تثبت أن تستثير كل قوة فيه، فتجتمع كل قواه حين ذلك ماضيه من قلبه إلى لسانه» [(١)] ومحمود شاكر في هذا النص امتزج بالشاعر فصارا واحدًا كاتبًا ومكتوبًا عنه.

- **خلافه مع لويس عوض**:

كان خلافه مع لويس عوض عقديًا محضًا تمتد جذوره من قبل ميلاد لويس عوض، فقد بدأ الفتى محمود شاكر منذ صباه في المدرسة الأولية يغالب صراعًا في نفسه، إذ كان دنلوب القس المبشر الإنجليزي قائمًا على التعليم بمصر، وكان يريد أن يجعل العقل العربي المسلم أسيرًا للعقل الأوربي، يؤمن بواراداته لا غير، فبدا له الصراع ناشبًا بين حضارة العرب والمسلمين ودينهم ولغتهم وثقافتهم، وبين حضارة دنلوب التي يمثل لويس عوض حلقة من حلقاتها، وهو ما دار حوله مقالات محمود شاكر في مجلة الرسالة الأسبوعية في سنتي ١٩٦٤، ١٩٦٥ قبل أن

(١) محمود شاكر: المتنبي ١ / ٢٠١.

تنشر في كتاب بعنوان «أباطيل وأسمار» قال الأستاذ محمود شاكر في تصديه لحملة لويس عوض على الإسلام: «لم أتردد قط في الإبانة عن صريح تحليلي لما ينطوي عليه «أجاكس عوض» من ذم العرب وشعر العرب بلا حياء، وأن يقدم إقدام المستهين الذي لا يبالى فيفسر القرآن بسوء أدبه، ونذالة تصوره للمعاني، وأن يعمد بالمكر الخبيث المستقذر ليجعل إسراء رسول الله ﷺ ومعراجه أسطورة مقتبسة من أساطير البذاء اليوناني الذي يتعبد له» [(١)].

ولكأن الأستاذ محمود شاكر تأكد وأيقن أن المبشرين والمستشرقين هم الذين زجوا بلويس عوض في هاوية الاعتداء على الدين الإسلامي وآدابه وثقافته، فقال: «ومن وراء هؤلاء السفهاء، شياطين قد ترهبوا، ولبسوا المسوح في أديرة التبشير والاستعمار»[(٢)] وفي خضم هذا الصراع الصليبي / الإسلامي «لم يبق لنا إلا إحدى اثنتين إما أن نستبسل فتكون لنا غلبة أهل الحق، على أهل الباطل، وإما أن نفشل ونتنازع فيما بيننا فتذهب ريحنا»[(٣)].

الخلاف ههنا ليس خلافًا شخصيًا في رأى أو قضية فكرية، لكنه صراع بين حضارتين: حضارة الإسلام التي يمثلها محمود شاكر، وحضارة الغرب الصليبي التي يدين لها لويس عوض بالولاء الكامل.

صفات محمود شاكر:

كان في شكله وصورته يمثل أهل جنوب الصعيد - غليظ الأنف والشفتين أميل إلى السمرة في لون بشرته، يبدو منه تحد ظاهر لشخصية مؤثرة، كانت داره وجهة كبار الكتاب من مصر، ومن الوافدين عليها من الدول العربية - وكان من روادها من

(١) الرسالة، العدد ١١١٧، في ١٠ / ٦ / ١٩٦٥، ص٨.
(٢) الرسالة العدد ١١١٨، في ١٧ / ٦ / ١٩٦٥، ص ٦.
(٣) الرسالة العدد ١١٢٠، في ١/ ٧/ ١٩٦٥، ص ٦.

الصفوة المصرية: يحيى حقي، وزكى نجيب محمود، وعبد الرحمن صدقي.

كان محمود شاكر حاد المزاج، عنيدًا صلب الرأي، لا يتهاون مع من يخالفه الرأي ولو كان من صفوة الحاضرين في ندوته، يرد على مخالفه الرأي بألفاظ خشنة، قد تتجاوز حدود أدب الاختلاف.

وكان يميل إلى العزلة، والاغتراب النفسي عن الناس، قال في بعض ردوده على لويس عوض ما يؤكد ميله إلى اعتزال الناس: «حين أتناول أمرًا من أمور الأدب والعلم أو السياسة أو غيرها، أراه خروجًا عن ما أدبني به طول اعتزال الناس، من ترك المبالاة بما تتلاغط به جماهير من الخلق تعد خطأ من المثقفين وليسوا منهم»[(١)].

ومع أن الأستاذ محمود محمد شاكر لم يحصل على شهادة جامعية، إلا أنه بجهده قد حصل على جائزة الملك فيصل في الأدب عن كتاب «المتنبي» وحصل على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكان دائمًا يوجه إلى أعلام الثقافة واللغة والأدب والنقد وما يشير إلى أنه السابق المجلى - وكان طلاب الدراسات العليا يفدون إليه من كل فج ليتذودوا من إخاذه.

ومع ذلك فقد كانت الكتابة عنده معاناة حرفة، قال يصف تهيؤه للكتابة: «حين أتهيأ للكتابة يخيل إلى أن الموضوع قد استقر في نفسي واستوى، واستتبت لي مذاهبه... فإذا أخذت مكاني وأمسكت القلم وبدأت أكتب فكأني قد انحدرت من سماء مرقبتي، وأفضيت إلى سوادها وأجدني وقعت على حواشي حرجة مظلمة الجوانب (والحرجة الشجر الملتف المجتمع لا يقدر أحد أن ينفذ فيها»[(٢)] شبهه أحد ناشري كتبه (رضوان دعبول) بأن بيانه جاحظي ناصع قوى التأثير (مقدمة رسالة إلى ثقافتنا ص ٥ - مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م وبالغ مالك بن نبي

(١) الرسالة العدد ١١٠٢ في ٢٥ / ٢ / ١٩٦٥، ص ٧.
(٢) الرسالة العدد ١١٢٢، في ١٥ / ٧ / ١٩٦٥، ص ٢.

الكاتب الجزائري الذي كان يكتب في الغالب بالفرنسية فقال: «لو وجد الجاحظ الآن لترك مكانه عن طيب خاطر لمحمود شاكر»[١].

ولكن الشاعر محمود حسن إسماعيل كان أصدق من وصف محمود شاكر فقال:

وأراك أنت بكل لج موجها والهادر المشبوب في شلالها والجازر

وأراك أنت عليمها وكليمها الشبهات في استدلالها

مؤلفات محمود شاكر:

١- المتنبي في سنة ١٩٣٦م.

٢- القوس العذراء في سنة ١٩٥٢م.

٣- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي -قراءة وشرح الطبعة الأولى - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢م. والطبعة الثانية المزيدة والمنقحة عن دار المدني سنة١٩٥٢م.

٤- أباطيل وأسمار، نشرها أولًا في مقالات في مجلة الرسالة الأسبوعية في سنتي١٩٦٤، ١٩٦٥ ثم نشرت في كتاب سنة ١٩٦٥م.

٥- نمط صعب ونمط مخيف سنة ١٩٦٩م.

٦- برنامج طبقات فحول الشعراء سنة ١٩٨٠.

٧- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا سنة ١٩٨٧ - ثم طبعة مؤسسة الرسالة في سنة ١٩٩٢م.

٨- مقدمة كتاب: حياة مصطفى صادق الرافعي لمحمد سعيد العريان.

٩- مقدمة كتاب: الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي.

---

(١) مجلة الدوحة، العدد ٦٠، في ديسمبر ١٩٨٠م، ص ٢٨.

obeikan.com

وتحقيقاته:

١- فضل العطاء على العسر لأبي هلال العسكري.

٢- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لمتقى الدين المقريزي.

٣- المكافأة وحسن العقبى لابن الداية.

٤- تفسير الطبري ١٦ جزءًا منه.

٥- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار.

٦- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار للإمام الطبري.

٧- كتاب دلائل الإعجاز وكتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.

وتوفى محمود شاكر في ١٤١٨م عن ثمانية وثمانين عامًا ميلاديًا.

ثانيا: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (نشر مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) :

يبدأ الرسالة بحمد الله تعالى والصلاة على محمد ﷺ وبحديث رسول الله ﷺ: (ألا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه) ولعله يقصد بهذا التقديم أن المفكر المسلم منبعه الإسلام ومصبه، أو هكذا يجب أن يكون، فالإسلام قاعدة التفكير ومنطلقه، وغايته في الوقت نفسه، كما أنه أراد أن يقول: إنه عزم على أن ينطق بالحق إذا علمه ولن تمنعه هيبة الناس الذين يصدون عن الحق، ولأن «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» كانت من آخر ما كتب فقد أراد أن يؤكد فيها أنه لم يخطئ فيما كتب قاصدًا عامدًا فيما مضى فيما قال أو كتب، وتلك زيادة ثقة بالنفس لا تجدها إلا في أمثال محمود محمد شاكر.

ولأنه كتب «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» فإنه لم يكتبها في فصول أو مباحث، بل كتبها في فقرات ٢٤ أربع وعشرين، في صلب متن واحد في ١٥٣ صفحة، وهذا

أكمل لوصلها وأمتن.

في الفقرة ١ : مدخل الرسالة وبدء الرحلة. ينبه إلى أن عمره التفكيري بدأ وهو في السابعة عشرة من عمره في سنة ١٩٢٦م، وأخذ من النضوج إلى أن تم نضوجه في سنة ١٩٣٦م وهى سنوات عشر بدأت يوم حصوله على الشهادة الثانوية، وتأهله لدخول الجامعة، مع أنها كانت سنوات قلق وشكوك، وخوف من عذاب الله انتهت بالإيمان بما يعتقد ويستقر عليه، لقد نجا من أزمته ووجد الخلاص «في رفض أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية التي كانت تطغى يومئذ بمصر كالسيل الجارف يهدم السدود، ويقوض كل قائم في نفسه وفي فطرته، وكان عليه أن يبدأ من جديد منفردًا رحلة طويلة يعيد فيها قراءة الإرث العربي كله، خاصة الشعر قراءة متأنية عند كل لفظ، وكل معنى، ويتذوقها بعقله وقلبه كأنه يطلب خبيئًا قد أخفاه الشاعر عفوًا أو سهوًا تحت نظم كلماته ومعانيه دون قصد منه أو تعمد أو إرادة وهو ما أطلق عليه: التذوق الشامل الكامل وصار له مذهبًا، ولكن ليس بمعنى مذهب التذوق الذي يجرى على ألسنة الكتاب بتذوق الجمال والفن، بل تذوق شامل كامل ومعرفة فطرية ببذل الطاقة في القراءة والمراجعة والاستقصاء، وسليقة فطرية وسجية لإدراك حقيقة البيان. ولكي يحقق مراده فقد رجع إلى إرث الآباء والأجداد في كل العلوم والفنون يقرأه «على أنه إبانة منهم عن خبايا أنفسهم بلغتهم» (ص ٩) بفيض غزير من مساجلات صامتة خفية كالهمس، ومساجلات ناطقة جهيرة الصوت، غير أن جميعها إبانة صادقة عن هذه الأنفس والعقول».

ومنهج التذوق الشامل، منهج متطور نام ينمو مع محمود شاكر بقدر مداومة بذل الطاقة في القراءة والمراجعة والاستقصاء لإدراك حقيقة البيان.

كيف استقبل كتابه عن المتنبى؟ :

كان المنهج الذي سلكه نابعًا من صميم المناهج الخفية التي سن آباؤنا طرقها، ووطئوها، وما كان عليه إلا تبيين دروبها ومسالكها مهتديًا بدلالات اللسان العربي،

وكان على ثقة من أن الذي يتملك القدرة على استيعاب هذه الدلالات، واستشفاف خفاياها، يكون قد ملك المنهج الأدبي لدراسة إرث هذه اللغة، وهو المنهج نفسه الذي انتهى إليه شاكر في تذوق الكلام كله شعرًا ونثرًا وأخبارًا تروى، وعلمًا يكتب أو يستخرج.

فهو منهج يعنى القدرة المعرفية على استنباط الدفائن من مكامن الكلمات، ومعرفة أخفى أسرارها وأغمض سرائرها.

ويُحدِّث الأستاذ محمود محمد شاكر بأن منهج التذوق الشامل قد استوى له في سنة ١٩٣٥م فكان أول عمل طبق فيه منهجه في تذوق الكلام هو «كتاب المتنبى» ولكن بقى هذا المنهج مطموسا لا يدرى به أحد، فريدًا لا يأخذ به أحد، إلى أن كانت سنة ١٩٧٧م عند إعادة نشره، مع أن السنين لم تنسه منهجه في الكتابة: «بحثًا أو نقدًا أو تعبيرًا عن ذات نفسه، أو تعليقًا على أصول الكتب القديمة التي نشرها وخرجت للناس» وهو المنهج نفسه الذي طبقه في كتابه «أباطيل وأسمار» وفي برنامج كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي، وفي قراءته لكتاب «جمهرة أنساب قريش للزبير بن بكار وتعليقه عليه، وقراءته وتعليقاته «لتفسير الطبري»، و«زائية الشماخ».

شطرا المنهج في نظرية التذوق الشامل لمحمود شاكر:

إن شطري المنهج في تطرية شاكر - المادة والتطبيق - ويراهما مكتملين منذ أولية هذه الأمة العربية المسلمة صاحبة اللسان العربي والدين الإسلامي في كل علم وفن، إذ هما من خصائص أمتنا لا يشاركها فيهما أمة سبقت كاليونان مثلا، ولا لحقت كالأمم الأوربية اليوم، لأن ذلك في اللسان العربي دون سواه من الألسنة وفي الإسلام دون غيره من الأديان، شق طريقه منذ عهد الصحابة ﷺ كعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن عباس وغيرهم، ثم أخذت الدائرة تتسع عند من

يلونهم ثم الذين يلونهم وهكذا في كل فن وعلم، فصار نهجًا إسلاميًا عربيًا مكتملًا مستقيمًا حتى وصل القرن الحادي عشر الهجري، سواء كان ذلك في العلوم الطبيعية والرياضية البحتة، أو في آداب اللسان العربي وعلوم الدين. ههنا يشير الأستاذ محمود شاكر إلى ما قبل المنهج فهو مهم غاية الأهمية.. بل هو شرط ملزم لأنه يبرئ جمع المادة والتطبيق جميعًا من الغفلة والإغفال والتسرع، وإعمال الهوى في نفس المنظر النازل في أرض المنهج، فلابد أن يكون قد أوتى حظًا وافرًا من البصر الناقد، من طريق معرفة اللغة العربية وتأثير ثقافتها في مجتمعه، كما يجب أن يكون مالكًا لنفسه متحكما في أهوائه، قادرًا على ضبطها.

العاصم من الزيغ والزلل:

يرى الأستاذ محمود شاكر أن الدين رأس الثقافة، أو ما كان في معناه وهو أصل الأخلاق، وشاكر مسبوق في هذا القول بما جاء على لسان كتّاب مدرسة المنار، وكان أبوه محمد شاكر من تلاميذها، وكان الشيخ رشيد رضا يؤكد على أن الدين ضابط كل شيء، وأكد عليه شكيب أرسلان في رسالة: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟!، لكن بينما أكد رشيد رضا، وشكيب أرسلان على أن الدين المقصود هو الإسلام لا دين غيره، رأى محمود شاكر أن المعنىّ بالدين، أي دين، أو ما كان في معنى الدين هو الذي «يكبح جموح النفس الإنسانية، ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة السوية العادلة».

فكأنه أراد أن يقول لخصومه الجدليين: لست متعصبًا مثلكم ولكنى إنساني أكثر منكم. ولأن محمود شاكر انحرف إلى ما أسماه: ما كان في معنى الدين أي دين – رأى أن يطبق ذلك في ثقافة كل لغة، لا في ثقافة اللغة العربية وحدها، فوقع في تناقض ما أسماه الأصل الأخلاقي في كل ثقافة، ذلك لأن مفعول الدين الإسلامي في المثقف المسلم غيره في المثقف الذي ينتمي لدين آخر غير دين الإسلام، أو ثقافة

أخرى غير الثقافة الإسلامية ذات الغايات النفعية البحتة.

وتلك زلة لمحمود شاكر، فلم تكن الأمة العربية قبل الإسلام كحالها بعد أن دخلت في الإسلام، ولم تكن قبله شيئًا. وفي هذه الزلة تناقض، ذلك لأن محمود شاكر قرر قبل في رسالته أن شطري منهج التذوق الشامل اكتملا للأمة العربية الإسلامية منفردة به وحدها، منذ أولية هذه الأمة خصيصة لها لأنها صاحبة اللسان العربي والدين الإسلامي.

نشأة الفرقة بين محمود شاكر والمناهج الأدبية والنقدية المعروفة:

أرَّخ محمود شاكر لبداية هذه الفرقة، بدخول الفساد في الثقافة العربية، بالتصادم الصامت مع الثقافة الأوربية الحديثة، وهو صدام غير الذي حدث في الحروب الصليبية التي استمرت قائمة قرنين كاملين (١٠٩٦م - ١٢٩١م) وانتهت بإخفاق الصليبين، بعد أن تركت فيهم بصيصًا من اليقظة والتنبه إلى حضارة الإسلام المتماسكة المتكاملة، ثم زادت اليقظة فيهم بسقوط القسطنطينية في مايو ١٤٣٥م يوم دخلها محمد الفاتح وحولها إلى أرض إسلامية ومن يومها كما قال محمود شاكر: «بدأت معركة غير معركة الحرب، معركة المعرفة والعلم الذي هيأ للمسلمين ما هيأ من أسباب الظفر والغلبة، استبان لعقلائهم أن قوة الحضارة الإسلامية هو العلم، علم الدنيا وعلم الآخرة، فهما اللذان مكنا لهذه الحضارة الإسلامية أن تمتلك القوة الهائلة المتماسكة، ومن أجلهما قامت في أوربا ثورة دينية (مارتن لوثر) وثورة مدنية (ميكافيللى) في القرن ١٦ الذي كان مؤذنًا ببعث يقظة أوربية مسيحية.

وبينما حدثت هذه اليقظة الهائلة الشاملة في أوربا، انخفضت بالمسلمين الغفلة الهائلة الشاملة ودار الصراع في مراحل هي:

الأولى: تتمثل في صراع الغضب لهزيمة المسيحية والقضاء عليها بالشام، ثم

دخول القسطنطينية في ديار الإسلام.

الثانية: تتمثل في يقظة شاملة قامت على الإصرار على تحصيل العلم، وعلى إصلاح الخلل بالحياة الأوربية، وكان المدد من العلم المسطور في كتب المسلمين. «ومن يومئذ نشأت طبقة جديدة ممن عرفوا بالمستشرقين» جعلوا الاستشراق صناعة تخدم الاستعمار الغربي، وتكون طليعة له تمده بكل المعلومات التي تعينه على احتلال أرض المسلمين. «وصارت أوربا قوة تمدها فتوح العلم الجديد بما يزيدها بأسًا وصرامة».

كانت يقظة الأوربيين لا تعرف الأخلاق فقد زحفت أساطيلهم إلى العالم الجديد فأبادوا سكانه من الهنود الحمر، واتجهوا إلى أفريقيا ليسترقوا أبناءها عبيدًا يُستغلون في إعمار الأرض الجديدة، ومع أساطيلهم رافقهم مستشرقون ومبشرون يجيدون التكلم بألسنة شعوب المسلمين من عرب وترك وفرس، واشتروا المخطوطات العربية أو سرقوها - في كل علم وفن، ووضعوها تحت يد كل دارس مستشرق في أي بلد أوربي، وأنشأوا مجلات الدراسات الاستشراقية، ودوائر المعارف الإسلامية «وصار الاستشراق في أوربا كلها هيئة واحدة ذات نظر مشترك واحد إلى حضارة الإسلام»

وسار الاستشراق في اتجاهين:

أولهما: طلب معرفة وعلم، يتعلم من المسلمين ليفيد منهم كما فعل «بيكون».

والثاني: ديني ليَحُول بين الأوربيين المسيحيين وانبهارهم بالإسلام كما فعل «توما الأكويني» وأدى هذا وذاك إلى زحف شامل اخترق قلب دار الإسلام يضم من أشتات الناس ما بين تاجر وصانع، ومغامر ومدرس، وسائح ومبشر، وجندي وسياسي، وراهب وطالب معرفة، وأفَّاق وصفاق ومتكسب» .

وكان نتاج المستشرقين في كل العلوم الإسلامية، والآداب العربية لهدف واحد

هو: «تصوير الثقافة العربية الإسلامية، وحضارتها بصورة مقنعة للعقل الأوربي»

فصوروا العرب والمسلمين «قوم بُداة جهال لا علم لهم، جياع في صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبي مرسل، ولفق لهم دينًا من اليهودية والنصرانية فصدقوه بجهلهم واتبعوه، ولم يلبث هؤلاء الجياع أن عاثوا بدينهم هذا فسادًا في الأرض يفتحونها بسيوفهم، وقامت لهم بعد ذلك ثقافة وحضارة كلها مسلوبة من ثقافات الأمم السابقة كالفرس والهند واليونان، حتى لغتهم مسلوبة وعالة على العبرية والسريانية والآرامية والفارسية والحبشية» هكذا قالوا كذبًا.

إن هذا التصور للإسلام وأهله وثقافته مستمد من فزع الأوربيين الدائم من منافس قوى - هو الإسلام - يمثل خطرًا على المسيحية الأوربية، ولقد تواصل هذا الإحساس والفزع حتى صار الإسلام في مخيلة الغرب نقيض الحضارة الغربية، بتنميطات تصف المسلمين بالبلادة والقسوة والانحطاط.

«والاستشراق لا يذم» والعبارة لمحمود شاكر، لأنه أدى ما عليه لبنى جلدته أحسن أداء وأتمه» أما من الوجهة الأخلاقية في أهداف الاستشراق، فإن هذا العمل وهدفه هو: «آفة خبيثة كافية وحدها في إسقاط عمل الاستشراق كله إلى حضيض الفساد والإفساد، ويقذف به منبوذًا خارج حدود كل ما يمكن أن يوصف بوجه ما أنه عمل علمي خالص». وشرط اللغة والثقافة والإيمان بهما غير موجود عند المستشرق ممتنع عليه، ومن ثم فلا منهج عنده يركن إليه» وعند ذلك يستطرد فيشرح مصطلح الثقافة فيكاد يخرج عن السياق، ثم يعود فيقول: إن المستشرق يعمل بمسلك الغاية تسوغ الوسيلة Il Fine Signeficail Mezzo على هدى مكيافيللي Machiavelli في كتاب الأمير Il Principe ثم صارت ملكًا مستحسنًا في الحضارة الأوربية»

ثم أراد محمود شاكر أن ينبه إلى أن إرادة اليقظة العربية الإسلامية لم تمت، فبعد

قرنين من سقوط القسطنيطينية انبعث رجال عظام أحسوا بالخطر، فأرادوا إنهاض دار الإسلام من الوسن والغفلة عن إرث أسلافهم العظام من هؤلاء: عبد القادر البغدادي، صاحب «خزانة الأدب» (١٠٣٠ هـ/ ١٠٩٣م - ١٦٢٠ - ١٦٨١) في مصر - ومحمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (سنة ١١١٥ - ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢) في جزيرة العرب، ومحمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي صاحب تاج العروس (١١٤٥هـ - ١٢٠٥هـ/ ١٧٣٢- ١٧٩٠م) بمصر، ومحمد علي الشوكاني (١١٧٣- ١٢٥٠هـ/ ١٧٦٠- ١٨٣٤م) في اليمن.

وهم أعلام نهضة بدأت من الثلث الأول من القرن الحادي عشر الهجري، إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري - وبين أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. أقام هؤلاء قواعد نهضة متكاملة أعادت إلى الأمة قدرتها على تذوق اللغة والشعر والأدب وعلوم العربية، وبعث الإرث اللغوي والديني، والعودة إلى عقيدة التوحيد الصافية.

وكان خامس هؤلاء حسن بن إبراهيم الجبرتي العقيلي بمصر (١١١٠ - ١١٨٨هـ/ ١٦٩٨ - ١٧٧٤م) وكان كما أرخ له ابنه عبد الرحمن الجبرتي «قد ولى وجهه شطر العلوم الطبيعية والتطبيقية والصنايع المدنية كلها، وكان يحضر إليه طلاب من الإفرنج ليأخذوا عنه علم الهندسة، وكان الجبرتي على خلق الإسلام، فلم يضن على الإفرنج بشيء من علمه».

كانت اليقظة الأوربية مواكبة لبعث يقظة مستجدة في العالم الإسلامي. «هما يقظتان كانتا في زمن واحد إحداهما إسلامية عربية من طبيعتها الرفق المهذب، والأخرى أوربية من طبيعتها العدوان الفاجر «فهب المستشرقون يحذرون من اليقظة الإسلامية، قبل أن يتم إتمامها ويستفحل أمرها» ومن أسف فقد وجدوا لهم ثرثارين يتشدقون بأوهام عرفت بمسميات «الأصالة والمعاصرة» و«القديم والجديد»،

و«الثقافة العالمية»و «القضية الهزلية = قضية موقفنا من الغرب الأوربي ثم الأمريكي».

وتوالت الضربات على الإسلام وأهله:

وتوالت الضربات على الإسلام وأهله، وكانت أولاها من قبل إنجلترا بإنشاء شركة الهند الشرقية، وكان في ظاهرها التجارة وفي باطنها تكمن نار جهنمية، فقد كانت أول أخطر جهاز استعماري في سنة (١٠٠٩هـ - ١٢٧٥هـ/ ١٦٠٠ - ١٨٥٨م) ولم يكن يعنى لفظ شركة إلا جيش قوى مسلح بأقوى الأسلحة مهمته النهب والسلب، وقطع الطريق. ثم يمم الأوربيون وجوههم إلى جزيرة العرب لكي يحجزوا دعوة ابن عبد الوهاب، فلا تخرج خارج نجد. ثم قيض الله لفرنسا قائدًا قويًا يحمل روح الصليبية والميكافيللية، مغامرًا فاجرًا هو «نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) أصاخ سمعه لنذير الاستشراق وإرشاده فجاء ليداهم اليقظة العربية الإسلامية في مصر - والشام. ولكن باءت حملته بالفشل والخسران، فقد فقد في حروبه في مصر والشام آلافًا من جنوده، وعشرات من قواده وعلمائه المستشرقين وعلى رأسهم الداهية «فانتور» مستشاره في شئون العالم الإسلامي - وكان قد قضى يجوب العالم الإسلامي أربعين سنة قبل الحملة فعرف كل أسراره.

دمر نابليون ومن خلفه - (كليبر - ومينو) القاهرة تدميرًا كاملًا شاملًا، وكانت يومئذ مدينة زاهرة من أجمل مدن العالم بعمارتها وفنونها وعلومها دمرها هذا البربري المبغض للإسلام وحضارته، ومن أسف كان هذا التدمير في عين من زعموا أنهم رواد حياتنا الأدبية الفاسدة رسالة حضارية جاء بها «رسول الحضارة الغربية الذي جاء ليخرج الشرق من ظلمات الجهل إلى عصر التنوير» هكذا زعم أذناب الاستعمار والاستشراق من العلمانيين العرب، مع أن غاية نابليون القصوى ومَنْ صاحبه من المستشرقين كانت تجريد دار الإسلام في القاهرة من أسباب اليقظة.

الغرب جعل من الاستشراق عملًا قصديًا تحميه ثقافة العلم الحديث القوى. والضمير النفعي اللاأخلاقى، لقد اصطنع الغرب من قوته في العلم، وضعف أخلاقه قاعدة تتعامل بها ثقافة السيطرة الغربية مع المسلم على أنه إنسان هامشي، وعلى أنه سيظل في مكانة منحطة في نظر الإنسان الغربي، ومع ذلك فقد اكتسب لنفسه أعوانًا من الخونة من بين أهل دار الإسلام، استأجرهم ليوسع بهم دائرة بث الأفكار السوداء في نفوس المسلمين وعقولهم.

كان لنابليون طريقة شيطانية في قتل اليقظة، إذ كان يختار طلعة كل شمس خمسة أو ستة من خيرة طلاب الأزهر- لأنهم كانوا طلائع اليقظة فيأمر بقتلهم وحمل رءوسهم على أعواد ويطاف بها في الشوارع، وكان الذي يوجهه إلى ذلك ويحدد الضحايا بأسمائهم المستشرق الداهية مستشاره: «فانتور» ولم يكن «فانتور» هذا رجلًا عاديًا. قال عنه عبد الرحمن الجبرتي: كان متبحرًا في العلوم الإسلامية والعربية - يعرف اللغات: التركية والرومية والإيطالية والفرنسية.

خطة التغريب:

كان نابليون يعي أهمية تغريب الشرق الإسلامي بدءًا من مصر، فقد أرسل إلى كليبر عقب رحيله من مصر رسالة قال له فيها: «اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شابًا من المماليك، ورحلهم إلى فرنسا، فإذا لم تجد عددًا كافيًا من المماليك فاستعض عنهم برهائن من العربان ومشايخ البلدان، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا، يحجزون مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يضم إلى غيرهم.

«كنت قد طلبت مرارًا جوقة تمثيلية، لأنها ضرورية في تغيير تقاليد البلاد»[(١)].

جذور قضيتنا كامنة في نذر الاستشراق، في انقضاض الصليبي الفاجر نابليون

(١) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث سنة ١٩٢٥.

على مصر لوأد اليقظة العربية الإسلامية، وقتلها في مهدها، مستغلًا نصارى الشام ومصر (المعلم يعقوب) وسفلة بلاد المغرب - خاصة اليهود منهم - كان يستأجرهم لبث أفكاره.

وبعد رحيل جيش الاحتلال الفرنسي، وتولية محمد علي لم يغفل الاستشراق الذي أرشد محمد علي بأن يظفر بالمشايخ الكبار، وأن يعزل الأزهر ومشايخه عن قيادة الأمة، بتمكين بُغْض الأزهر وشيوخه وطلاب العلم فيه من قلب محمد علي «ثم وجَّه الاستشراق محمد علي لوأد اليقظة الدينية في الجزيرة العربية فحارب محمد بن عبد الوهاب من سنة ١٢٢٦هـ إلى١٢٣٥هـ، ثم نجح الاستشراق في سنة١٢٤٢هـ - ١٨٢٦م في إرسال شباب مصر ليتعلموا بفرنسا ويتغربوا بها بإشراف المستشرق «جومار» وكان على رأس هؤلاء رفاعة الطهطاوي وكان في الثالثة والعشرين فلم يكن له حظ وافر من الثقافة المتكاملة، وعاد من فرنسا ليخرج مصر وأهلها من الظلمات إلى النور، وكان إنشاء مدرسة الألسن من صنع الاستشراق، إذ لم يكن في وسع رفاعة وحده أن يعلم ١٥٠ طالبًا العلوم والفنون، فأحضر له صناع الاستشراق من تولى تعليمهم، وتثقيفهم على الطريقة الأوربية.

وهنا يشير محمود شاكر إلى قضية غاية في الأهمية وهى أن مدرسة الألسن كانت أول عملية بتر من مركز الثقافة المتكاملة التي كان الأزهر قائمًا عليها، على قرون متطاولة، فتحقق بذلك أكبر وأد للثقافة المتكاملة التي تخرج بها: البغدادي والزبيدي والجبرتي الكبير، والجبرتي الابن وغيرهم. ثم أخذت الهوة تتسع من زمن محمد علي إلى الآن، وانتصرت ثقافة دار المسيحية الشمالية بلا قِرن يكافئها، وإنما هو الخضوع والاستكانة» وهكذا انشطر التعليم في الأمة: أما مناهج الأزهر - في عزلته - فقد أخذت تضعف وتذوى وهى على بنائها القديم، أما مناهج المدارس المدنية فأخذت تنمو نموا قائما على القشور التي تضر ولا تغنى فتيلًا، لأنها تكسب أبناءها تنكرًا

وإعراضًا، بل احتقارًا للثقافة المتكاملة التي حيت بها أمتهم، وصار ميلهم للعالم الذي أتت منه.

ولما احتلت مصر في ١٥ / ٩ / ١٨٨٢ وقضى الأمر بتعيين القسيس المبشر المتعصب دنلوب أمينًا عامًا لنظارة المعارف على عهد كرومر، عمل الرجلان على تفريغ كامل لطلاب المدارس من ماضي الأمة المرتبط بالعربية والإسلام، وأخذا يوجهانهم إلى الفرعونية التي بادت ثقافتها، وملأ عقولهم بقشور العلوم والفنون والآداب التي لا تقدم أدنى فائدة».

وفي كتاب: «مصر الحديثة Modern Egypt» الذي ألفه اللورد كرومر، أوصى حكومته بأن تبتعث بعض الشباب من أبناء الأعيان (مثل أحمد لطفي السيد) والنابهين من غير أبناء الأعيان (مثل سعد زغلول وطه حسين) في بعثات إلى أوربا ليربوا تربية أوربية، ويتثقفوا ثقافة أوربية، فإذا تشبعوا بها عادوا ليمكن لهم في حكم مصر على الطريقة الأوربية، فينشروا التربية والثقافة على الطريقة الأوربية، وقد فعلوا.

كلمة ختامية:

لقد بلّغ الأستاذ محمود محمد شاكر «الرسالة في الطريق إلى ثقافتنا» هذا في ظاهر القول، ولكنه في الحقيقة أراد أن يقول لأمته: إن الأمة الإسلامية ذات تركيب حضاري متكامل، وأن المسلمين قادرون على مقاومة الثقافة الغربية، وإعادة بعث نهضتهم وثقافتهم الكاملة، وليس مجرد التطلع إلى اللحاق بمدنية الغرب وثقافته.

*****